

13

الأسبوع

الجزء السادس

بناء الكعبة المشرقة



بقلم : أ. عبد الحميد عبد القصود
رسوم : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمادي مصطفى



ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَبَطَ مِنَ
الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ حَوَاءُ . . وَرَأَى آدَمُ سَعَةَ
الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَرَ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُمَا ، قَالَ :
- يَا رَبِّ ، أَمَا لَأَرْضِكَ هَذِهِ غَامِرٌ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ،
وَيُقَدِّسُ لَكَ غَيْرِي ؟!

وَذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَجَابَهُ قَائِلًا :

- إِنِّي سَأَجْعَلُ فِيهَا مَنْ وَلَدِكَ مَنْ يُسَبِّحُ بِحَمْدِي

وَيُقَدِّسُنِي ، وَسَاجِعَلُ فِيهَا بُيُوتًا تُرْفَعُ لِدِكْرِي ،
 وَيُسَبِّحُ فِيهَا خَلْقِي ، وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمِي ، وَسَاجِعَلُ مِنْ
 تِلْكَ الْبُيُوتِ بَيْتًا أَخْصَهُ بِكَرَامَتِي ، وَأَوْثَرُهُ بِاسْمِي ،
 وَأَسْمِيهِ بِبَيْتِي ، أَنْطِقُهُ بِعَظَمَتِي ، وَعَلَيْهِ وَضَعْتُ
 جَلَالِي .. أَجْعَلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ حَرَمًا أَمِنًا ، يَحْرُمُ بِحُرْمَتِهِ
 مَنْ حَوْلَهُ ، وَمَنْ تَحْتَهُ ، وَمَنْ فَوْقَهُ ، فَمَنْ حَرَمُهُ بِحُرْمَتِي ،
 اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ كَرَامَتِي ، وَمَنْ أَخَافَ أَهْلَهُ فِيهِ فَقَدْ
 نَقَضَ ذِمَّتِي ، وَأَبَاحَ حُرْمَتِي .. أَجْعَلُهُ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ
 لِلنَّاسِ بِبَطْنِ مَكَّةَ مُبَارَكًا .. يَأْتُونَ شُعْنًا غَيْرًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ،
 مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .. يَرْجُونَ بِالتَّلْبِيَةِ رَجِيحًا (أَيُّ تَرْتَفِعُ
 أَصْوَاتُهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ) وَيَعْجُونَ بِالتَّكْبِيرِ عَجِيحًا .. فَمَنْ
 اعْتَمَدَهُ (زَارَهُ) لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ ، فَقَدْ وَفَدَ إِلَى وَزَارَتِي وَضِيَافَتِي ،
 وَحَقُّ عَلَى الْكَرِيمِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ وَأَضْيَافَهُ ، وَأَنْ يُسَعِفَ
 كُلًّا بِحَاجَتِهِ (يُعْطِي كُلَّ سَائِلٍ مَا سَأَلَهُ) .. هَذَا الْبَيْتُ
 تَعْمُرُهُ يَا آدَمُ مَا كُنْتَ حَيًّا ، ثُمَّ تَعْمُرُهُ الْأُمَمُ وَالْقُرُونُ
 وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِكَ أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ ، وَقَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ .

وَقَدْ أَهْبَطَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ
السَّمَاءِ .. هَبَطَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْ يَأْتِيَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، فَيَطُوفَ بِهِ ، كَمَا كَانَ يَرَى
الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، وَهِيَ تَطُوفُ حَوْلَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ..
وَعِنْدَمَا أَغْرَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِالطُّوفَانِ فِي عَهْدِ نُوحٍ ،
رَفَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، وَبَقِيَ أَسَاسُهُ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى جَاءَ
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِإِعَادَةِ بِنَائِهِ ..

فَقَدْ اقْتَضَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، أَنْ يُسْكِنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
زَوْجَتَهُ هَاجِرَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ ، وَبِجَوَارِ
بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ ،
لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ ، وَهِيَ إِعَادَةُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ ، وَإِعْمَارُ
مَكَّةَ بِالسُّكَّانِ وَالْحَيَاةِ ..

وَقَدْ عَاشَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ فِي مَكَّةَ
الْمُكَرَّمَةِ ..

وَكَانَ تَفَجَّرُ مَاءِ زَمْزَمَ تَحْتَ قَدَمَيْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مِنْ بَشَرٍ زَمَزَمَ، سَبَبًا فِي قُدُومِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى
مَكَّةَ، وَإِقَامَتِهَا فِيهَا ..

وَقَدْ كَبَّرَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَهُمْ وَعَمِلَ عَلَى تَرْوِضِ الْخَيْلِ
وَاسْتِنَاسِهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ ..



وقد تزوج إسماعيل من العرب .. وكان والده

إبراهيم عليه السلام يزوره كلما سحت الفرصة لذلك ..

وذات يوم أوحى الله - تعالى - لنبيه إبراهيم عليه السلام أن
يبني بيته الحرام ..

ويقال : إن نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يكن يعرف
الموضع الذي سيبني فيه البيت ، فأرسل معه جبريل عليه السلام
ليدله على الموضع ، فدله على نفس موضع البيت
الحالي ، وهو نفسه الموضع الذي بني فيه البيت لأول
مرة في عهد آدم ..

توجه إبراهيم عليه السلام إلى ولده إسماعيل ، وقال له :
- إن الله قد أمرني ببناء بيته الحرام ، وأنا أطلب
معاونتك لي ..

فأجابه إسماعيل :

- سمعاً وطاعة لأمر الله يا أبي ..

وبدأ إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - في بناء

الْبَيْتُ الْحَرَامُ ..

حَفَرَا الرَّمَالَ الَّتِي كَانَتْ تَغْطِي أَسَاسَ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ ،
وَالَّتِي تَجَمَّعَتْ بِمُرُورِ السَّنَوَاتِ ، وَأَزَالَاهَا بَعِيدًا عَنِ
الْمَكَانِ ، حَتَّى ظَهَرَ أَسَاسُ الْبَيْتِ .. وَقَدْ بَدَأَ فِي
ذَلِكَ مَجْهُودًا جَبَّارًا ..

ثُمَّ بَدَأَ فِي تَقْطِيعِ الْأَحْجَارِ مِنَ الْجِبَالِ ، وَتَسْوِيتِهَا ،
حَتَّى تُصْبِحَ صَالِحَةً لِلْبِنَاءِ ، ثُمَّ قَامَا بِنَقْلِهَا إِلَى مَوْقِعِ الْبِنَاءِ ..
وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَمَلِيَّةِ الْبِنَاءِ ، بَيْنَمَا إِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ
الْأَحْجَارَ .. وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ عَمَلِيَّةُ الْبِنَاءِ لِفَتْرَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ
- تَعَالَى - .. وَهَكَذَا حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاءُ الْكُعْبَةِ ، وَلَمْ
تَعُدْ يَدَا إِبْرَاهِيمَ تَطْوِلَانِهِ ، فَأَحْضَرَ حَجَرًا مُرْتَفِعًا ،
وَوَقَفَ عَلَيْهِ ، حَتَّى أَتَمَّ الارتفاعَ الْمَطْلُوبَ ..

وَفِي أَثْنَاءِ الْبِنَاءِ ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ يَدْعُوَانِ
رَبَّهُمَا طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمَا هَذَا الْعَمَلُ خَالِصًا
لِوَجْهِهِ تَعَالَى ، وَطَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُمَا مُسْلِمِينَ لَهُ ،
وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَهُ ، وَأَنْ يُرِيَهُمَا

مَنَاسِكُهُمَا وَمَشَاعِرَ دِينِهِمَا . . . كَمَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - رَبَّهُمَا أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أُمَّةِ الْقَرَبِ
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . .
وَهَذِهِ دَعْوَةٌ حَقَّقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِإِرْسَالِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ . .
قَالَ تَعَالَى :

﴿ . . . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَوْضِعِ الرُّكْنِ ، طَلَبَ مِنْ
إِسْمَاعِيلَ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ بِحَجَرٍ مُمَيَّزٍ ، لِيَبْدَأَ النَّاسُ مِنْ
عِنْدِهِ الطَّوَافَ ، فَذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ وَأَحْضَرَ لَهُ حَجَرًا ،
لَكِنَّهُ لَمْ يُعْجِبْهُ ، فَقَالَ لَهُ :

أَحْضِرْ حَجَرًا غَيْرَهُ . .

فَذَهَبَ إِسْمَاعِيلُ لِيُخْضِرَ حَجْرًا ، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ،
وَجَدَهُ قَدْ وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ ..

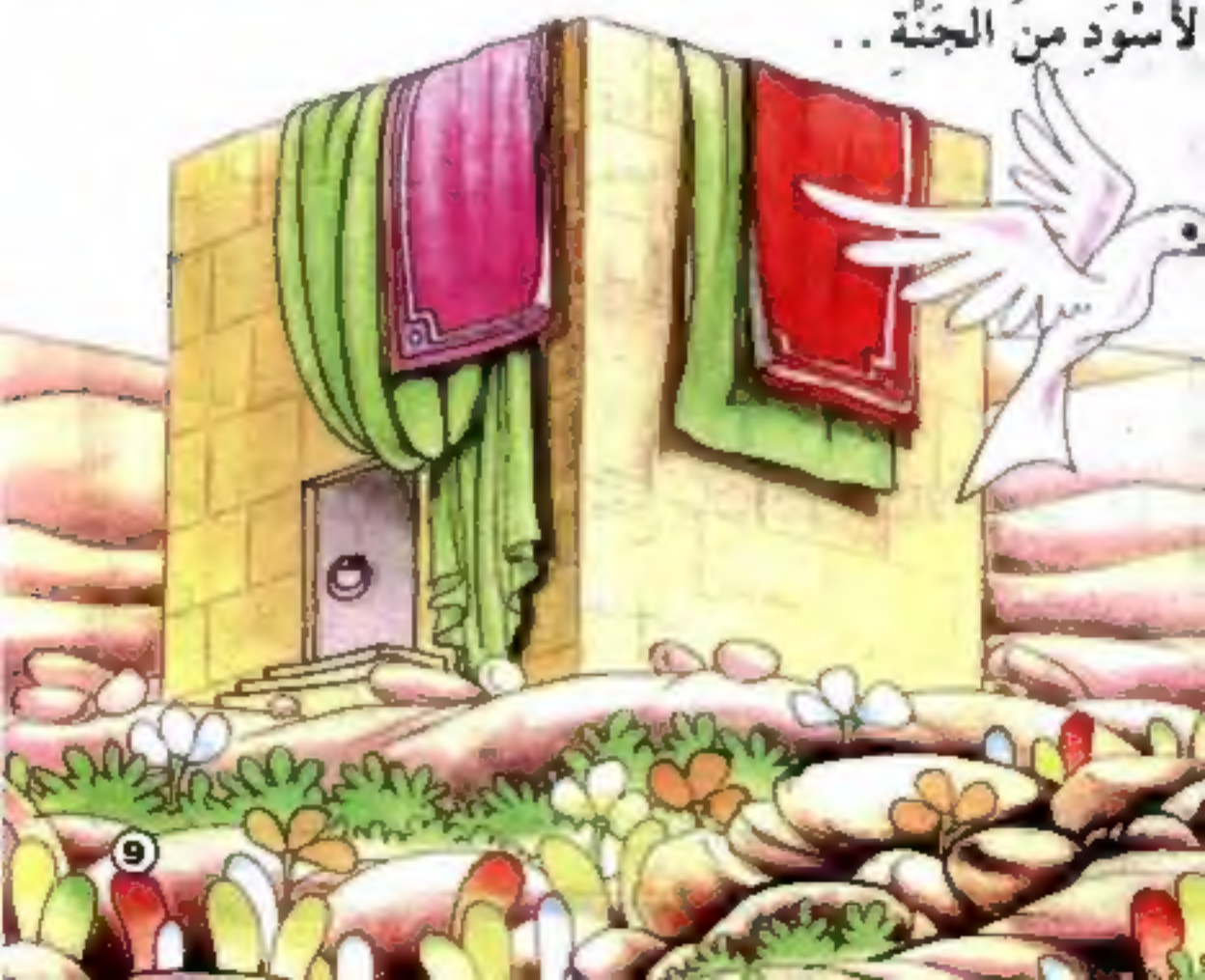
فَسَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ :

– مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْحَجَرِ يَا أَبَتِ ؟!

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

– مَنْ لَمْ يَكِلْنِي إِلَيْكَ يَا بُنَى ..

وَقَدْ قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُ : إِنَّ جِبْرِيلَ قَدْ جَاءَ إِبْرَاهِيمَ بِالْحَجَرِ
لِلْأَسْوَدِ مِنَ الْجَنَّةِ ..



وَالْكَعْبَةُ الْمَشْرُفَةُ هِيَ بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ ، الَّذِي

يَتَّجِهُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاتِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي
الْأَرْضِ ، فَهِيَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ . . وَهِيَ بَيْتُ اللَّهِ الَّذِي
يَحْجُجُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . .

فَلَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، أَمَرَهُ اللَّهُ -
عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ . .

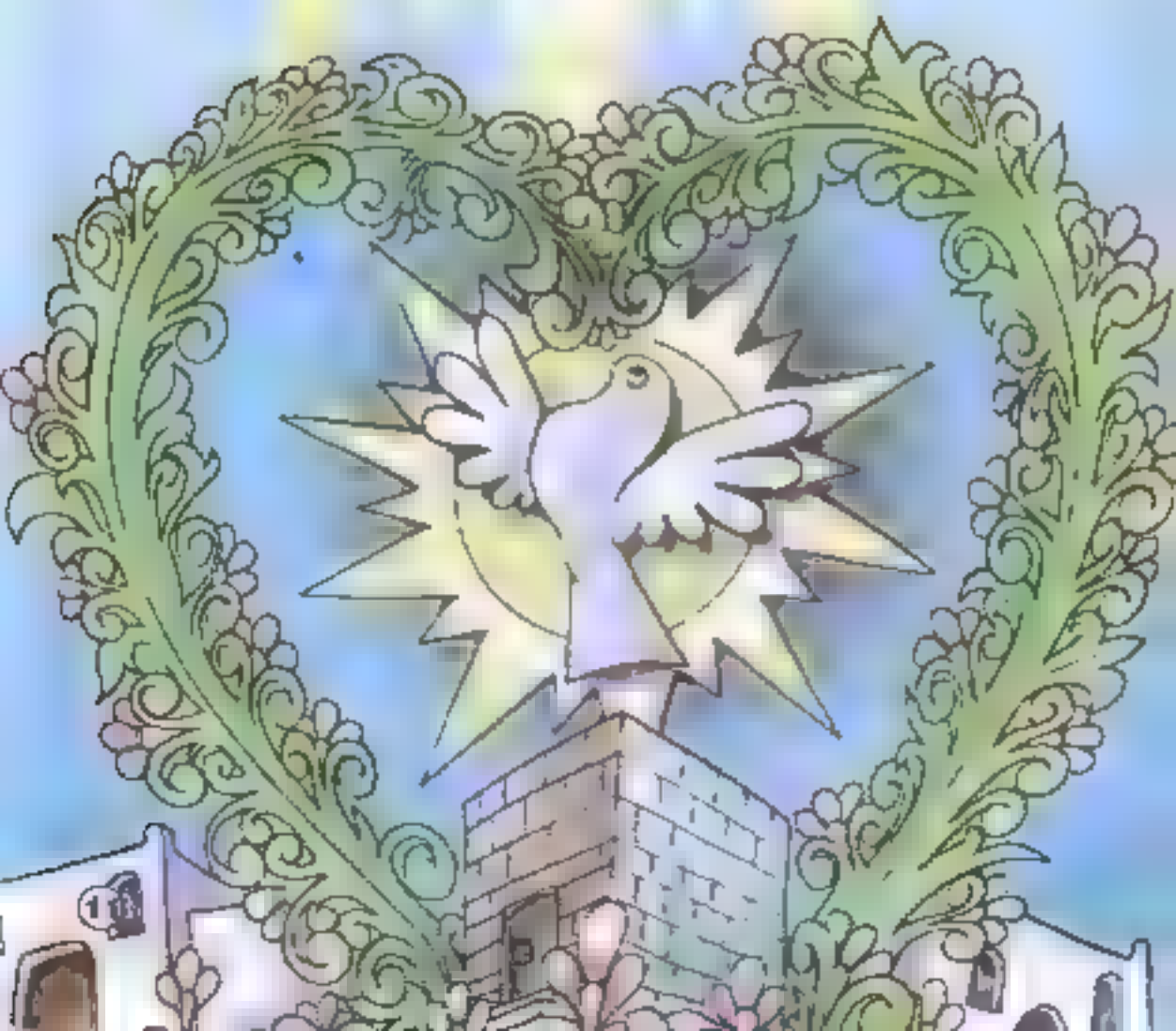
فَقَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي ؟! قَالَ : أَدُنْ وَعَلَى
الْبَلَاغِ . . فَنَادَى إِبْرَاهِيمُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ
إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . . فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . .
أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجِئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبُونَ !
قَالَ تَعَالَى :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ بِنَاءِ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، كَمَا أَمَرَهُمَا رَبُّهُمَا تَعَالَى ، وَحَضَرَ

مَوْسَمُ الْحَجِّ ، اسْتَقْبِلْ إِثْرَاهِمُ بِسْمِ اللَّهِ الْيَمَنَ ، فِدْعَا إِلَى
اللَّهِ ، وَإِلَى حَجِّ بَيْتِهِ فَأَجَانَهُ النَّاسُ مُلَيْنَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ
لَبَّيْكَ ..

ثُمَّ اتَّجِهْ إِلَى حِجَّةِ الْمَعْرَبِ ، فِدْعَا إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى
حَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ فَأَجَانَهُ النَّاسُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ..



ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ ، فَدَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى
حَاجِّ بَيْتِهِ فَأَجَابَهُ النَّاسُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ..

ثُمَّ خَرَجَ بِأَبْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
فِي يَوْمِ الثَّرْوَةِ فَتَزَلَّ بِهِمْ فِي مَنَى ، فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ
وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ ، ثُمَّ بَاتَ حَتَّى أَصْبَحَ
الصُّبْحُ ، فَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ .. ثُمَّ غَدَا بِهِمْ إِلَى
عَرَفَةَ ، فَقَالَ بِهِمْ هُنَاكَ (قَضَى بِهِمْ وَقْتَ الْقِيلُولَةِ) ..

حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتِي الظُّهْرِ
وَالْعَصْرِ ..

ثُمَّ رَاحَ بِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ مِنْ عَرَفَةَ ، فَوَقَّفَ بِهِمْ
الْأَرَاكُ ، وَهُوَ الْمَوْقِفُ مِنْ عَرَفَةَ ، الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ الْإِمَامُ
حَتَّى الْيَوْمِ .. فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ
الْحُجَّاجِ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ، فَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ صَلَاتِي
الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ .. ثُمَّ بَاتَ بِمَنْ مَعَهُ فِي الْمُزْدَلِفَةِ ،
حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ ..

ثُمَّ وَقَفَ بِهِمْ عَلَى قُرْحٍ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ ، وَهُوَ الْمَوْقِفُ
 الَّذِي يَقِفُ بِهِ الْإِمَامُ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى دَفَعَ بِإِسْمَاعِيلَ
 وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يَعْلَمُهُمْ شَعَائِرَ الْحَجِّ .. حَتَّى
 رَمَى الْجَمْرَةَ الْكُبْرَى ، وَأَرَاهُمْ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْحَرُونَ
 فِيهِ فِي مِنَى .. ثُمَّ نَحَرَ الْأَضْحِيَّةَ وَحَلَقَ شَعْرَهُ .. ثُمَّ
 أَفَاضَ بِإِسْمَاعِيلَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مِنَى لِیُرِيَهُمْ كَيْفَ
 يَطُوفُ .. ثُمَّ عَادَ بِإِسْمَاعِيلَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مِنَى ، لِیُرِيَهُمْ
 كَيْفِيَّةَ رَمَى الْجَمْرَاتِ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ ..
 وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ جِبْرِيلَ ﷺ هُوَ الَّذِي
 كَانَ يُرِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ مَنَاسِكَ الْحَجِّ ..
 وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ هَذِهِ الْمَنَاسِكَ الَّتِي أَدَّاهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ
 وَعَلَّمَهَا وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ وَالْمُسْلِمِينَ ، هِيَ نَفْسُ
 الْمَنَاسِكَ وَالشَّعَائِرِ ، الَّتِي أَدَّاهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ،
 وَالَّتِي مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يُؤَدُّونَهَا حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ
 الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ..

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْلِمًا
خَالِصَ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ
وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مُسْلِمِينَ لِلَّهِ تَعَالَى . . . وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ
تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ وَدَيْنَ أَبِيهِ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ تَعَالَى :

﴿ ... أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى مِنْ
قَبْلِ أَنْ تُوجَدَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ . .

قَالَ تَعَالَى :

﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ
أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء



الكتاب التالي
لوط عليه السلام
أحرص على اقتنائه

رقم الإصدار : ٢١٢٢
الترقيم الدولي : T - ٢٨٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧